قصة (ذكريات مخيفة)

بقلم الكاتبة "فاطمة ممدوح"

(١)

هتفت أمل بغير تصديق: ازاي يا أدهم اللي بتقوله، يعني أي أحمد مات؟

أجاب أدهم بحزن: زي ما بقولك يا أمل، أحمد أتوفى في حادثة ولازم نروح المستشفي علشان الإجراءات.

توقفت الدنيا أمام عينان أمل بغير تصديق، عادت ذاكرتها حيث ثلاث سنوات تزوجا بها وقد كانت حياتهما سعيدة بشدة

تحدث أحمد بحزن: أنا مش مصدق عيني البنت اللي حبيتها بقت مراتي حلالي أخيرا الحمد لله يارب

هتفت أمل بخجل: الحمد لله يا حبيبي ربنا جمعنا ببعض على خير بعد تعب ومشاكل كتير بس ربنا عالم أن حبنا صادق

أجاب أحمد: الحمد لله يا حبيبتي انا مش هسيبك أبداً

وحينها أستوعب أمل الواقع وعادت بنظرها نحو أدهم الذي ظل ينادي كثيراً

"أمل، أمل، أمل، ايه يا بنتي خيالك راح فين؟

أهتزت شفتيها ببكاء أمل: أحمد سبني ونسي وعده هو قالي مش هسيبك أبدا ليه يروح مني كده عملت اي يارب علشان يبعد عني

حزن أدهم لحالتها وقال بلطف: ده قضاء ربنا يا أمل ومش هنقدر نعمل حاجة تعالي يلا علشان توديعه

دخلت أمل للمشرحة والدموع بعينيها "لا أصدق يا أحمد انك ذهبت وتركتني، كنت أتمني أن يكون بيننا طفلاً يُذكرني بك"

تمت مراسم الدفن والرثاء ومر أول يوم عزاء بكل هدوء

دلفت أمل للغرفة وبدأت الذكريات تجول حولها حينما فتحت كتاب الصور ورأت أول صورة بين أدهم وأحمد لأنهما كانا أصدقاء منذ أن كانا بالجامعة وقد كان أحمد يأتي ليستذكر دروسه مع أدهم وقد أُعجب بأمل كثيراً عندما كَثُرت رؤيته لها، ظلت تُقلب بالصفحات والصور تُعيد ذكرياتها بكل صورة لتقع عيناها على صور أول زيارة لأحمد وهو يتقدم لخِطبة أمل وشاهدت صور الخطوبة ثم صور الزفاف، كانت في آخر الكتاب صورة لأحمد، رأتها أمل وهي تهمس بحزن

"ليه يا أحمد ده انا اعترفت ليك بسر مش بقوله لحد أبداً ليه تكون أول مرة يجرحني ليه؟"

قطع حديثها طرقات على الباب فنهضت أمل لترى مَن الطارق لتندهش من رؤيتها والدتها "ايه ده ماما ؟!، ازيك يا حبيبتي عامله ايه ؟"

تبسمت ألأم بلطف وتحدث بهدوء

"أنا كويسة يا حبيبتي انتي اللي عامله ايه ؟"

أجابت أمل بلطف "أنا بخير يا ماما متقلقيش"

هتفت الأم بضيق "الله يرحمه أنا لحد دلوقتي مش مصدقة احمد يروح مننا"

أستنكرت أمل رافعة حاجبيها "ليه يا ماما هو الخاين حد بيزعل عليه؟"

(٢)

أستنكرت أمل رافعة حاجبيها "ليه يا ماما هو الخاين حد بيزعل عليه؟"

عم الصمت ونظراتهنا كانت مليئة بالخبث والفتاة وأُمها تضحكان ضحكات أمتلأت بالشر وكم كانتا ماهرتين بتمثيل الحزن

تسائلت الام بأهتمام "حاسة بأيه بعد اللي حصل ؟"

أجابت أمل بأبتسامة جانبية وحقد "انتصار يا ماما، فوز كبير ليا بقى أنا بعد ما أديته قلبي وحكيتله كل أسراري يتجوز صحبتي ويفضحني عندها قد ايه أنا بكرهه وبكره اليوم اللي شوفته فيه الخاين الغشاش، كان كل ما يحتاج مني حاجة بعملها وانا مبسوطة يبقي ده جزاء الجدعنة مني ؟، ومش بس كده يا ماما كان بيحطلي حبوب منع الحمل عشان مخلفش منه وانا كل يوم عند دكتور علشان افرحه وطلع هو السبب"

تحدث الام بلطف "أهدي يابنتي أهو اخد جزاءه وما تجوزش عليه غير الرحمة، بس قوليلي هتعملي ايه مع أمه واخته ؟"

تنهدت أمل وأجابت بهدوء "بعتلهم نصيبهم، أنا اه قتلت ابنها بس مش باكل حق حد برضو"

ضحكت الاثنتان بخبث وبعد لحظات تركتها أمل ودخلت لغرفتها لتبدل ثيابها ونزلت هي ووالدتها لتتنزها وتقضيان وقتاً ممتعاً بالخارج، بالطبع، لقد كانتا أشر من أبليس

في مكانٍ آخر يجلس أدهم وصديقه خالد جالسان بإحدى المقاهي الكافية وبدأ الحديث بينهما كالآتي

تساءل خالد بقلق "مالك يا أدهم حزين كده ليه ؟"

تنهد أدهم بحزن "انت متعرفش أن أحمد مات ؟"

توسعت عينا خالد بصدمة "ايه ده ؟، انت بتتكلم بجد يا أدهم ؟"

أومأ أدهم بتأكيد "مفيش هزار في الحاجات دي، مات يا خالد"

هز خالد رأسه بغير تصديق وحزن "الله يرحمه يا أدهم، هو مات ازاي؟"

أجاب أدهم بضيق "حادثة عربية، بس تصدق في حاجة مش فاهمها"

قطب خالد حاجبيه بتعجب "خير يا صاحبي"

تحدث أدهم بجدية "الدكتور قالي ميت من جلطة قلبية وده اللي سبب الحادثة"

تنهد خالد بتعجب "بصراحة مستغرب، بس قولي اختك أمل عامله ايه بعد الخبر ده ؟"

فرك أدهم جبينه بحزن "مقطعة نفسها عياط ربنا يصبرها ويتولاها"

اعتدل خالد وكأنه تذكر شئ وقال بتساؤل "صحيح هو أحمد الله يرحمه كان يعرف أن أمل دخلت مصحة لعلاج الادمان ؟"

رفع أدهم كتفيه بغير علم "مش عارف، بقولك انا ماشي ورايا شغل كتير يلا سلام"

همهم خالد بتفهم وودعه بلطف "سلام"

نعود حيث أمل ووالدتها وهما تخرجاو من إحدى المتاجر بعدما أشتريا بعض الثياب وتوجهوا للمنزل عائدتان، جلستا لترتاحان بعدما وضعتها حقائب الثياب بالعرفة

قالت الام بأهتمام "قوليلي ايه اللي عرفك أنه خاين وأنه اتجوز صاحبتك ؟"

تنهدت أمل وأجابت بأستدكار "بدأت بحاجات بسيطة تفاصيل بسيطة كانت عارفاها وانا عمري ما حكيتلها عن التفاصيل دي والتفاصيل البسيطة كبرت وكبر حزني وغضبي معاهم، في مرة كانت عندي صحبتي واخدنا الكلام وجه وقت العشا وكنت حاطة في الاكل زيت زيتون وهو مش بيحب طعمه فطلعت منها تلقائياً 'انتي مش عارفة يا أمل أن أحمد مش بيحبه' ساعتها استغربت وحاجات كتير طلعت عارفاها وانا محكتش عنها ابداً فبدأت أراقب كل خطوة ليهم وبدأت أفكر ازاي اخد حقي ولقيت اني لازم ابدأ انفذ"

(٣)

قاطعتها الام بفضول "قبل ما تحكي عن التنفيذ قوليلي الاول ايه الدافع القوي انك تكوني عايزة تنتقمي"

أجاب أمل بحقد "المعايرة يا ماما أنا اتغيرت وبعدت عن المخدرات علشانه، بقى بيدور علي اي حاجة علشان يفتح الموضوع ده، بدأ جوايا يولد نار هتولع فيه وفيها وقولت لنفسي مش ده اللي انت بتعايرني بيه أنا هخليك تجرب منه"

اندهشت الام وتحدثت بغير تصديق "ياربي أنا مش مصدقة كل ده يطلع منك قوليلي بقا بدأت تنفيذ ازاي ؟"

تحدثت أمل بهدوء "صحيح أنا بطلت مخدرات بس عارفة ناس كتير تجيبلي المخدرات لحد عندي، بدأت احط المخدرات في الاكل، القهوة، اي حاجة يشربها لحد ما بقت أعصابه بايظة خالص مش عارف يشتغل، من الاخر دمرت حياته وفي يوم اتخانقت معه خناقة بسبب الشك وأنه بيخوني وهو يقولي أنا عمري ما خونتك اتعصب ونزل من البيت وكنت طبعا حطيت المخدر في القهوة ونزل وجاله جلطه قلبية، وطبعاً مفيش سيطرة علي عربيته عمل حادثة كبيره ومات وكده خلصت من الخاين ده"

هزت الأم رأسها بغير تصديق ضاربة كفاً بكف "حقيقي الشيطان يتعلم منك يا امل، بس برضو مبهورة بيكي يلا الله يرحمه"

في إحدى اقسام الشرطة دار حوارًا بين أثنين من الضباط يتولان قضية مقتل أحمد

"فارس باشا واحشني يا راجل" هتف أحدهما بلهفة فأجاب فارس بأبتسامة "حازم بيه وانت كمان والله اخيراً بقينا في قضية واحده"

تحدث حازم ضاحكًا بخفة "شوفت يعم اهو اتجمعنا بس يلا نبدأ شغل وبلاش عطلة"

أومأ فارس يوافقه الرأي "عندك حق قضيتنا تخص محاسب أسمه احمد مات بحادثة عربية"

همهم حازم بتفهم وتساءل بتعجب "بس ازاي ده مكتوب في تقرير الطبيب الشرعي أنه ميت بجلطه قلبية !"

هز فارس رأسه بتأكيد قائلاً "في حاجة غلط اكيد ولازم نفهمها بس الاول نحقق مع المدام ونشوف الفحص الشامل للجثة هيقول ايه"

وافقه حازم بجدية "كويس جداً"

تحدث فارس بجدية "احنا هنقسم نفسنا أنا هروح احقق مع المدام وانت تروح تشوف نتيجة فحص الجثة"وافق حازم وتفرق الأثنان متجهان حيث وجهتهما ليبدآ العمل

في منزل أمل بعد لحظات صدح رنين الجرس بالأرجاء فسارعت أمل بفتح الباب لتقطب حاجبيها بتعجب من الشخص أمامها فقالت بهدوء وأرتياب "مين حضرتك ؟"

اجاب فارس برسمية "مع حضرتك المقدم فارس المسئول عن قضية قتل جوز حضرتك، ممكن ادخل ؟"

أرتعد قلب أمل ولكنها تبسمت بهدوء وافسحت له مجالاً للدخول "اتفضل، تشرب ايه حضرتك ؟"

دلف فارس للمنزل متجهاً حيث غرفة الجلوس ليتخذ مضجعاً ثم اجاب "قهوة سادة"

أومأت امل بتفهم وألتفتت لوالدتها "معلش يا ماما اعملي قهوة لحضرة الظابط"

نقلت الام نظرها بينهما بريبة وهممهمت بهدوء "ماشي يا بنتي"

تفحص فارس ثياب أمل المُزينة والمُبهرجة وأستنكر متسائلاً "معلش يا مدام في السؤال هو المرحوم مش غالي عليكي علشان تغيري الاسود علي طول ده لسه ميت من يومين ؟"

جلست أمل على الأريكة الأخرى أمامه تُخفى أرتعادها بأحترافية وتحدثت بحزن مصطنع "دي وصية احمد أن محدش يلبس عليه اسود ولا حتي يعيط"

تعجب فارس وهمس بشك "غريبة !"

رفعت أمل حاجبها تحدق به ببرود "ايه اللي غريب ؟"

تحمحم فارس وعدل جلسته مُوضحاً "حتي يا مدام لو دي وصية جوزك الحب اللي بينكم يخليكي تلبسي الاسود فترة كويسة على الأقل، بس

مش مشكلتي علي العموم أنا جاي أسأل حضرتك كام سؤال وهمشي علي طول"

همهمت أمل بتفهم وشعرت بالأترياح داخلياً لعدم اصراره علي السؤال وتحدثت بهدوء "اتفضل"

تحدث فارس بجدية ورسمية "هل استاذ أحمد كان عنده اعداء ؟"

نفت أمل برأسها بهدوء وأجابت بنحيب مصطنع بعدما تصنعت البكاء "لا، أحمد كان صاحب جدع جدا وزوج صالح اتخطف من حياتي وراح"

هدأت شكوك فارس نحوها حينما رأى حالتها وسأل مجدداً "طيب يا مدام هل كان في مشاكل بين حضرتك وبين استاذ احمد ؟"

نفت أمل مجدداً برأسها بينما تمسح انفها بمنديل "لا خالص بالعكس ده كان زوج صالح زي ما قولت لحضرتك"

همهم فارس بتفهم ونهض عن مضجعه "طيب يا مدام شكرا ليكي عن اذنك"

نهضت أمل كذلك تمسح دموعها الزائفة "اتفضل آنست وشرفت"

نتجه للمشفي حيث يقف حازم يحادث الطبيب المسئول عن فحص جثة أحمد فتسائل حازم بجدية "ها يا دكتور قولي الفحص بيقول ايه ؟"

أجاب الطبيب برسمية "يا حضرة الظابط المتوفي كان بياخد مخدرات"

أندهش حازم وتساءل بجدية "أنت متاكد يا دكتور ؟"

أومأ الطبيب بتأكيد وثقة "طبعا يا فندم" فتركه حازم بعدما شكره وسرعان ما تقابل مع فارس بقسم الشرطة وشرع كلاهما بالحديث

قال حازم بأهتمام "ها ايه الاخبار ؟"

تنهد فارس بخفة مُضيقاً عيناه "مش مرتاح خالص للي اسمها امل دي، مش صريحة ابدا واكيد وراها حاجة، حتى رغم دموعها بس حسيتها كدة مقلقة"

أومأ حازم بتفهم وهتف بجدية "طب اسمع طلع ايه في التقرير"

تعجب فارس وأنتبه قائلاً "طلع ايه ؟"

أجاب حازم بهدوء "أحمد كان بياخد مخدرات"

هز فارس رأسه بشك وأرتياب "فيه لغز في الموضوع لأن الناس بتقول أنه سمعته كويسة وعمره ما شرب سجاير، بص يا حازم احنا لازم نجمع معلومات اكتر عن أمل وأحمد، اللغز لازم يتحل"

(٤)

أثناء جلوس حازم وفارس يتسامران ويتناقشان حول القضية قاطعهما طرقات على الباب فسمح حازم للطارق بالدخول فدخل الأمين متحدثاً برسمية "في ست برا يا باشا عايزة حضرتك"

تحدث فارس بهدوء "دخلها يا عسكري خلينا نشوف عايزة ايه"

أومأ الأمين بأنصياع وتزحزح قليلاً يفسح مجالاً للمعنية "اتفضلي يا هانم"

ثواني ودخلت فتاة شابة في مقتبل العمر وعرَفت بنفسها بهدوء "أنا اسمي سلمي زوجة احمد التانية يا حضرة الظابط"

توسعت عينا فارس وحازم في دهشة وسرعان ما تحدث حازم بجدية يُشير لها بالجلوس "اتفضلي يا مدام"

جلست سلمى بهدوء شاكرة مستنشقة بخفة ويبدو أنها كانت تبكي وقالت بهدوء "أنا جاية أقول لحضرتك اني شاكة في أمل أنها هي اللي قتلت احمد"

رفع حازم حاجبيه بتعجب متسائلاً بجدية "ايه سبب الشك ده يا مدام سلمي ؟"

أجابت سلمي بأستياء "عشان أنا صحبتها أو كنت صحبتها كمان، كان فيه خلافات كتير اوي بين احمد وأمل بسبب جوازن مني، وأنه شك أنها رجعت للمخدرات"

تعجب فارس كثيراً وتساءل بأستنكار "مخدرات !، مخدرات اي يا مدام؟"

تنهد سلمي وسردت بهدوء "أمل كانت مدمنة ودخلت مصحة أدمان قبل ما تعرف احمد وقالتله وقت ما اتخطبوا وهو كمل في الخطوبة لما اتأكد أنها فعلاً بطلت"

همهم فارس بتفهم مبتسماً بهدوء وكأنه فهم كل شئ قائلاً "كده كل حاجة ظهرت علي حقيقتها، دلوقتي مع شهادة حضرتك في دليل ولازم نروح نفتش في بيت امل يمكن نلاقي دليل تاني أقوي"

وافقه حازم الرأي وأضاف "هروح النيابة أطلع أمر ضبط وإحضار لأمل وكمان تفتيش للبيت"

وافق فارس ناهضاً عن مضجعه متحدثاً بجدية "يلا نروح علي بيت أمل ومدام سلمي انتي هتفضلي هنا ؟"

نهضت سلمي مُجيبة بهدوء "ماشي يا فندم"

حيث منزل أمل انتشر رنين الجرس بالأرجاء بطريقة أفزعت قلب أمل فنهضت تفتح الباب لتتفاجئ من تواجد الشرطة فقالت بتعجب وقلق طفيف "خير يا حضرة الظابط ؟"

أظهر فارس أمر التفتيش وقال بجدية وصرامة "معانا أمر بتفتيش البيت"

أبتلعت أمل ريقها بتوتر وحاولت جعل نبرتها متزنة "ليه يا حضرة الظابط ؟"

أجاب فارس بينما يُرجع الورقة بيجيبه وأشار القوات بالدخول للمنزل "عشان حضرتك متهمة بقتل جوزك"

تراجعت أمل للخلف حينما دفعوها ودخلوا للمنزل وقالت بأنفعال "بس مفيش حاجة عشان تفتش"

هز فارس رأسه بهدوء "هنشوف دلوقتي"

تقدم أحد الأمناء رافعاً شيئاً بيده قائلاً برسمية "لقينا ده يا باشا"

سخر حازم قائلاً "الله الله يا مدام امل، خدها يلا يا عسكري للقسم" انهي حديثه بصرامة آمراً ثم أضاف بهدوء "بصي يا مدام الشك كله والدلائل كلها بتقول انك انتي اللي قتلتي جوزك"

أرتعدت أمل محاولة الفرار من قبضتي الشرطيان وقالت بأنفعال "حضرتك بتقول ايه، أنا هقتل جوزي ليه ؟"

أجابها حازم بسخرية "عشان اتجوز عليكي صحبتك وكمان عشان الخناقات الكتير اللي كانت بينكوا وازاي بدأ يعايرك بأدمانك وأنتِ الأدري بالباقي بقى، فمن الاحسن يا مدام امل انك تعترفي وبلاش تتعبينا"

سَلَمت أمل بالأمر الواقع وتحدثت بحقد وغضب "اه أنا اللي قتلت احمد عشان اقهر سلمي زي ما قهرتني وادمر حياته واخليه يعيش الإدمان، مش بيقولوا من عاير ابتلاء أُبتلى بيه يا حضرة الظابط ولا أيه؟"

تنهد فارس بقلة حيلة "حقيقي انا مش مصدق اللي بسمعه وازاي أنتي بالبشاعة دي، عسكري هخد مدام امل علي البوكس، مدام سلمي شكرا حضرتك ساعدتينا كتير" أنهى حديثه شاكراً فتبسمت سلمى بخفة متحدثة بحزن "العفو يا حضرة الظابط أنا كل اللي كان يهمني أن أحمد يرتاح في قبره وأن ابنه لما يجي الدنيا يطمن أن فيه ناس بتجيب الحق وحق أبوه جه الحمدلله"

همهم حازم بتفهم وقال بلطف "حضرتك حامل يا مدام سلمي !" أومأت سلمي مؤكدة بهدوء "اه عرفت بعد موت احمد على طول"

تبسم حازم بهدوء قائلاً "البقاء لله يا مدام سلمي وربنا يقويكي بإذن الله"

همهمت سلمي بلطف "شكراً يا فندم، عن اذنكم"

فأجابا حازم وفارس بذات الوقت "اتفضلي"

بعد مرور شهر على قضية مقتل أحمد وأثبات الأدلة بالأشتباه بقتله، أصدر القاضي حُكمه وسط قاعة المحكمة

"حكمت المحكمة حضُورياً بالنسبة للمتهمة امل محمد عادل بتحويلها لفضيلة المُفتى، رفعت الجلسة " وهكذا تم أصدار حُكم الأعدام شنقاً على أمل عقوبة قتلها

وكما يقول الأجداد، الجريمة لا تُفيد، ولا ننسى أن لا توجد جريمة كاملة

***